

النِّسَاءُ فِي الْقُرْآنِ

أُمُّ جَمِيلَ

حَمَّالَةُ الْحَطَبِ

تأليف: محمد المطارقي
رسوم: محمد نبيل
تدقيق: قسم اللغة بالدار
إشراف فني وجرافيك: سمر قناوي

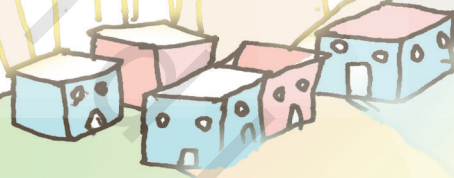
المطارقي، محمد.
أم جميل
تأليف/ محمد المطارقي، - الجيزة
شركة ينابيع، ٢٠١٦
ص: سم - (سلسلة النساء في القرآن)
تدمك: ٦٥٨ ٣ ٤٩٨ ٩٧٧ ٩٧٨
١- قصص الأطفال.
٢- قصص القرآن
٣- النساء في القرآن
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدي-الجيزة
رقم الإيداع: ٢٠١٦ / ١٠١٧٩

كَانَ الْعَرَبُ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَّصِفُونَ بِصِفَاتٍ جَمِيلَةٍ
وَرَائِعَةٍ كَالشَّجَاعَةِ.. الْمُرُوءَةِ.. الْكَرَمِ وَالْجُودِ.. الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ..
الْفَصَاحَةِ.. وَغَيْرَهَا مِنْ الصِّفَاتِ النَّبِيلَةِ. لَكِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ
يَغْلُبُ عَلَيْهَا - بِكُلِّ أَسْفٍ - صِفَاتٌ أُخْرَى قَبِيحَةٌ وَشَرِّيرَةٌ كَارِتْكَابِ
الْفَوَاحِشِ.. الْعَصَبِيَّةِ الْعَمِيَاءِ.. شُرْبِ الْخُمُورِ.. لَعِبِ الْمَيْسِرِ..
وَكَانُوا يَسْتَحِلُّونَ الْحَبَائِثَ، وَيَفْعَلُونَ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَقْتُلُونَ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

الْبَنَاتِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْهُمْ الضَّعِيفَ.. وَكَانَتْ الْحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ
تَتَشَبَّهُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ لِأَتْفِهِ الْأَسْبَابِ، وَقَدْ تَطَوَّلَ الْحَرْبُ سَنَوَاتٍ
وَسَنَوَاتٍ.. حَتَّى تَكَادَ تَقْضِي عَلَى الْأَخْضَرِ وَالْيَاسِ، وَتُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ. فِي هَذَا الْجَوِّ الْأَسْوَدِ الْقَاتِمِ.. الْمُعَبِّأُ بِكُتَلِ الْغُيُومِ،
كَانَ الْكَوْنُ بِأَسْرِهِ يَتَهَيَّأُ لِمُتَقَبَّلِ أَكْرَمِ مَخْلُوقٍ.. كَانَتْ النُّجُومُ
فِي السَّمَاءِ يَزْدَادُ بَرِيقَهَا وَلَمَعَانَهَا.. وَالْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ بِرَعْمِ
حُزْنِهَا وَأَسْفَهَا لِأَفْعَالِ الْبَشَرِ كَانَتْ تَتَعَانَقُ صُخُورَهَا فِي حُبٍّ،
وَيَسْرِي بَيْنَ صُخُورِهَا الصَّلْدَةُ شُعُورٌ بِالسَّعَادَةِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ نَبِيًّا
هُوَ أَعْظَمُ مَخْلُوقٍ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ سَوْفَ يَتَغَيَّرُ الْعَالَمُ كُلُّهُ
عَلَى يَدَيْهِ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ.. إِنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ
وَالْمُرْسَلِينَ.. رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.



كَانَتْ الدَّعْوَةُ فِي بِدَايَتِهَا سَرِيَّةً.. فَرْدِيَّةً.. يَدْعُو النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا
الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَتَوَسَّمُ فِيهِمُ الْعَقْلُ وَالْإِسْتِعْدَادَ لاعتِنَاقِ
الإِسْلَامِ.. بَعِيدًا عَنِ أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ.. وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي دَارِ
الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ.. فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ كَمَا



صلى الله عليه وآله وسلم



عَلَّمَهُ اللَّهُ.. وَيَحْفَظُهُمُ السَّوَرُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ.. ثُمَّ بَدَأَ
 النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّنُ الدَّعْوَةَ.. وَيُنَشِّرُهَا جَهْرًا.
 لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ
 عَلَى جَبَلِ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ.. يَا بَنِي عَدِيٍّ..»
 لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّى اجْتَمَعُوا.
 فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَبَعْضُ مَنْ قُرَيْشٍ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟»
 قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ
 عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، مَا جَمَعْتَنَا
 إِلَّا لِهَذَا!!



وَعَادَ عَبْدُ الْعُزَّى (أَبُو لَهَبٍ) إِلَى بَيْتِهِ وَقَدْ ارْتَسَمَتْ عَلَامَاتُ
الْغَضَبِ عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِهِ.. وَفِي الْبَيْتِ اسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ «أُمُّ
جَمِيلٍ» بِلَهْفَةٍ وَسَأَلَتْهُ: مَاذَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بْنُ أَخِيكَ يَا عَبْدُ الْعُزَّى؟
لَعَلَّ هُنَاكَ مَالًا سَيَعُودُ عَلَيْنَا! وَلَكِنَّهَا حِينَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَوَجَدَتْهُ
مُكَفَهَّرَ الْوَجْهِ شَعَرَتْ بِالتَّوَجُّسِ.. فَقَالَتْ بِحِدَّةٍ: انْطِقْ يَا رَجُلُ.
قَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ أَنَّهُ صَارَ نَبِيًّا، جَاءَ بِدِينٍ جَدِيدٍ،
وَيُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَتَّبِعَهُ..

امْتَلَأَ قَلْبُ أُمِّ جَمِيلٍ بِالْحَقْدِ وَالْبُغْضِ
وَقَالَتْ بِغَضَبٍ: تَتَّبِعُهُ؟! أَتَصِيرُ يَا
أَبَا لَهَبٍ تَابِعًا لِمُحَمَّدٍ؟
كَانَتِ السَّيِّدَتَانِ الطَّاهِرَتَانِ رُقَيْيَةُ وَأُمُّ
كَلْثُومٍ ابْنَتَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مُتَزَوِّجَتَيْنِ
مِنْ ابْنَيْ أَبِي لَهَبٍ عَمِّ أَيْبِهِمَا؛ وَهُمَا
عُتْبَةُ وَعُتَيْبَةُ.. وَكَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ - وَهِيَ



حَمَاتُهُمَا - تُبْغِضُهُمَا أَشَدَّ الْبُغْضِ؛ لِأَنَّ قَلْبَهَا الْأَسْوَدَ قَدْ انْطَوَى
عَلَى الشَّرِّ، فَكَانَتْ تُكَلِّفُهُمَا فَوْقَ طَاقَتِهِمَا، وَتَسِيءُ مُعَامَلَتُهُمَا.
فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَدْ صَارَ نَبِيًّا شَعَرَتْ
بِالْغَيْظِ يَأْكُلُ قَلْبَهَا، فَاشْتَدَّ أَذَاهَا لَهُمَا أَكْثَرَ.. وَكَانَتْ بِسِلَاطَةِ
لِسَانِهَا تَحْتَدُّ عَلَيْهِمَا.. وَتُطْلِقُ سِهَامَهَا الْمَسْمُومَةَ بِدُونِ سَبَبٍ.



لَمْ تَكُنْ أُمَّ جَمِيلٍ امْرَأَةً جَمِيلَةً، بَلْ كَانَتْ رَمْزًا لِلْقُبْحِ بِكُلِّ مَعَانِيهِ:
قُبْحُ الشَّكْلِ.. قُبْحُ الْقَلْبِ.. قُبْحُ اللِّسَانِ.. كَانَتْ حَادَّةً الْمَلَامِحِ..
لَهَا وَجْهٌ صَلْدٌ، وَلَعَلَّ قَلْبَهَا الْأَسْوَدَ الَّذِي يَمْتَلَأُ بِكُلِّ صُنُوفِ الشَّرِّ
قَدْ انْعَكَسَ عَلَى مَلَامِحِ وَجْهِهَا، فَصَارَتْ أَشْبَهَ بِشَيْطَانَةٍ.. تَنْفُتُ
سُمَّهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ تَجْلِسُ فِيهِ، وَكَانَتْ تَسِيرُ بِالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ بَيْنَ
نِسَاءِ مَكَّةَ.. وَكَانَتْ أَكْثَرَ امْرَأَةٍ تُعْرَفُ بِالْبُخْلِ الشَّدِيدِ، حَتَّى إِنَّهَا



كَانَتْ تَقُومُ بِحَمْلِ الحَطَبِ بِنَفْسِهَا - وَهِيَ الغَنِيَّةُ؛ المَعْرُوفَةُ
بِكَثْرَةِ مَالِهَا - حَتَّى لَا تُكَلِّفَ نَفْسَهَا دَفْعَ أَجْرَةٍ لِأَحَدٍ.. حَتَّى وَلَوْ
كَانَتْ قَلِيلَةً.

لَمْ تَشْعُرْ أُمُّ جَمِيلٍ بِالرَّاحَةِ لَحْظَةً وَاحِدَةً مُنْذُ عَلِمَتْ بِنُبُوءَةِ
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَتْ تَقُولُ دَائِمًا: لِمَذَا لَمْ تَنْزِلِ الرِّسَالَةُ عَلَى
رَوْحِي، فَهُوَ أَوْفَرُ مَالًا، أَلَيْسَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ الْكِبَارِ؟! وَهُوَ
أَحَدُ أَشْرَافِهَا المَعْدُودِينَ. ثُمَّ كَيْفَ
تَقْتَنِعُ أُمُّ جَمِيلٍ بِكَلَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ
الَّذِي يُسَاوِي بَيْنَ السَّادَةِ وَالْعَبِيدِ؟!
كَيْفَ يَتْرَكُونَ عِبَادَةَ الأصْنَامِ؟!
أَلَيْسَتْ هِيَ الْإِلَهِةُ الَّتِي تَجْلِبُ لَهُمُ
الْخَيْرَ؟! فَالنَّاسُ يَأْتُونَ مِنْ خَارِجِ مَكَّةَ
يُقَدِّمُونَ إِلَيْهَا الْهَدَايَا وَالْقَرَايِينَ..
وَأَبُو لَهَبٍ يَنَالُهُ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ.. كُلُّ
ذَلِكَ الْخَيْرِ سَيُحْرَمُونَ مِنْهُ.



ضَاقَتْ أُمُّ جَمِيلٍ نَفْسًا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَدَعَوْتِهِ.. وَرَاحَتْ تَتَعَاوَنُ
 مَعَ إِبْلِيسَ فِي وَضْعِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ تَشْغُلُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ..
 وَقَدْ اسْتَطَاعَتْ بِالْفِعْلِ الْوُصُولَ إِلَى خُطَّةٍ شَيْطَانِيَّةٍ سَوْفَ تُلْحِقُ
 بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ الْحُزْنَ وَالْأَلَمَ..
 قَالَتْ لِزَوْجِهَا: اشْغِلُوا مُحَمَّدًا بِبَنَاتِهِ.. فَإِذَا قَامَ عُثْبَةُ وَعُتَيْبَةُ
 بِتَطْلِيلِ رُقِيَّةَ وَأُمِّ كَلْثُومٍ فَسَوْفَ يَنْشَغِلُ مُحَمَّدٌ عَنْ دَعْوَتِهِ..
 أَعْجَبَتْ الْفِكْرَةَ أَبُولَهَبٌ، فَقَامَ مِنْ فُورِهِ وَعَرَضَهَا عَلَى كُبْرَاءِ
 مَكَّةَ، فَاسْتَحْسَنُوا الْفِكْرَةَ وَأَثَنُوا عَلَى أُمِّ جَمِيلٍ خَيْرًا..
 أَمَرَتْ أُمُّ جَمِيلٍ وَلَدَيْهَا بِتَطْلِيلِ زَوْجَتَيْهِمَا، وَضَغَطَتْ عَلَيْهِمَا،



فَامْتَنَّا لِأَمْرِهَا وَنَفَذْنَا لَهَا مَا أَرَادَتْ..

صَبَرَتِ السَّيِّدَةُ رُقَيْةٌ وَالسَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
وَتَحَمَّلْنَا كُلُّ صُنُوفِ الْأَدَى مَعَ أَيِّهِمَا ﷺ وَأَمَّهُمَا خَدِيجَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.. وَكَانَتْ بَنَاتُ النَّبِيِّ ﷺ جَمِيعًا يُشَارِكْنَ أُمَّهُنَّ
التَّخْفِيفَ عَنْ أَيِّهِمْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَكْرَمَهُنَّ اللَّهُ ﷻ.
وَتَزَوَّجَتِ السَّيِّدَةُ رُقَيْةٌ بِالصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَحَدِ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ.. فَلَمَّا مَاتَتْ
تَزَوَّجَ أُخْتَهَا أُمُّ كُلْثُومٍ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لُقِبَ بِذِي النُّورَيْنِ.



كَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ تُحَرِّضُ زَوْجَهَا عَلَى إِيْذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَبْتِ
سُومَهَا فِي قَلْبِهِ.. فَكَانَ أَبُو لَهَبٍ يَمْتَثِلُ لِكَلَامِهَا، وَيَعْمَلُ جَاهِدًا
عَلَى أَذَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ لِيُخَيِّ لَهَا عَنِ الْمَوَاقِفِ
وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي حَدَّثَتْ لَهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

كَانَ أَبُو لَهَبٍ يَسِيرُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ.. يَتَّبَعُهُ خُطْوَةً.. خُطْوَةً..
وَكُلَّمَا تَوَجَّهَ ﷺ إِلَى قَوْمٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ
صَاحَ أَبُو لَهَبٍ: لَا تُصَدِّقُوهُ.. إِنَّهُ كَاذِبٌ.. لَا تُصَدِّقُوهُ.. فَيَنْصَرِفُ
النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُ صَادِقٌ لَكَانَ أَوَّلَى
النَّاسِ بِهِ عَمَّهُ. كَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ تَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَالْمُنْتَعَةِ وَهِيَ
تَعْمَلُ عَلَى إِيْذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.. فَقَدْ كَانَتْ تَقُومُ بِجَمْعِ الْأَشْوَاكِ
وَتَضَعُهَا عِنْدَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.. بَلْ وَفِي طَرِيقِهِ أَيْضًا.. كَانَتْ تَسْعَدُ



كَثِيرًا كُلَّمَا أَحْسَتْ أَنَّ
الشَّوْكَ سَيَعُوقُ طَرِيقَهُ
وَيُلْحِقُ بِهِ الْأَذَى.. كَانَتْ
حَرِيصَةً عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ
كُلَّ يَوْمٍ.. لَكِنَّ اللَّهَ ﷻ كَانَ
يَحْفَظُ نَبِيَّهُ ﷺ، وَيُسَلِّمُ
طَرِيقَهُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.. حَتَّى
نَزَلَ قُرْآنٌ فِي حَقِّهَا يُتْلَى إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



التقى قلبُ أمِّ جميلٍ حمالةَ الحطبِ بقلبِ زوجها أبي لهبٍ
 على شدةِ كُرهِهما للنبيِّ ﷺ.. فوضعَ أبولهبُ يدهُ في يدِ كفَّارِ
 مكةَ للتخلُّصِ مِنَ النبيِّ ﷺ ودَعْوَتِهِ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ العَاطِفَةُ أَوْ
 الشَّفَقَةُ لَحْظَةً وَاحِدَةً نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ.. كَانَ
 يُحَرِّكُهُ شَيْطَانُهُ، وَشِدَّةُ طَمَعِهِ، وَتَعَلُّقُهُ بِالدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.. وَلَمْ
 يَقْتَدِ بِأَخِيهِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ مَكَّةَ، فَهُوَ بِرَعْمٍ أَنَّهُ كَافِرٌ مِثْلُهُ إِلَّا
 أَنَّهُ كَانَ يَمْنَعُ كُفَّارَ مَكَّةَ مِنْ إِذَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُومُ بِحِمَايَتِهِ
 وَالِدِّفَاعِ عَنْهُ.

لَمَّا نَادَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ مِنْ فَوْقِ جَبَلِ الصَّفَا فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ
 لِيُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ،
 وَزَمَجَرَ أَبُولَهَبُ بِكُلِّ غَضَبٍ:
 تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ.. أَلِهَذَا



جَمَعْتَنَّا؟! نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَسَدِ تَصِفُ مَا سَيُتَوَلَّى إِلَيْهِ حَالُ
أَبِي لَهَبٍ وَزَوْجَتِهِ أُمِّ جَمِيلٍ حَمَالَةَ الْحَطَبِ، فَمَصِيرُهُمَا نَارُ
جَهَنَّمَ وَلِبَاسُ الْمَصِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا
أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَالَةَ
الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.



أَمْسَكَتْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ بِحَجَرٍ وَرَاحَتْ تَبْحَثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَتَقْذِفَهُ بِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ، فَسَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ: أَيَنْ صَاحِبِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ وَحَقُّ الْإِلَهِةِ لَوْ رَأَيْتُهُ لَرَمَيْتُهُ بِهَذَا الْحَجَرِ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي. كُلُّ ذَلِكَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ أَمَامَهَا، لَكِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بَصَرَهَا عَنْهُ. وَلَقَدْ حَرَصَتْ عَلَى جَمْعِ الشُّوْكِ وَحَمَلِهِ؛ لِتَضَعَهُ كَعَادَتِهَا فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمَامَ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى أَصَابَهَا الْمَرَضُ.. وَمَاتَتْ عَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ.



صلى الله عليه وآله وسلم